Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مستمدّة ألفاظها من ينابيع القصيد الحلو العذب، حتى تتدفق الموشحة بأرق الأنغام وأصفى الألحان. وبذلك ظلّت الموشّحة فى جوهرها ولُبِّها تتغذّى من الشعر الموروث، تتغذّى بخير ما فيه من غذاء نغمى ولفظى، ولم يحدث تقاطع ولا تنابذ بينها وبين القصيدة، إذ لم تُتَّخَذ أداة لمسخ الشعر العربى وتغيير جوهره الموسيقى، بل نمت من خلاله وخلال خصائصه اللفظية ودقائقه الموسيقية التى لا شك فى أن ابن زيدون أشبع بها ملكاته، وقد دفع الوشّاحين من حوله لكى يحاكوه فى صنعه مستمدّين من الصياغة الشعرية الموروثة الطوابع الموسيقية الأصيلة لشعرنا وما يترقرق فيه من بهاء يخلب الأفئدة.

وإذا كنّا نعدّ الإيقاع الموسيقى الساحر عند ابن زيدون عاملاً مهمًّا فى التواصل بين إيقاعات الموشحات وإيقاعات القصيدة فإننا أيضًا نعده عاملاً مهمًّا فى استمرار سيطرة القصيدة على الجوِّ الأدبى فى الأندلس بإيقاعاتها ورناتها المتلاحمة، وليس ذلك فحسب، فإن إيقاعه عُدَّ مثلا رفيعًا لإيقاعات القصيدة العربية لا بين شعراء الأندلس وحدهم، بل أيضًا بين شعراء المشرق، إذ نرى بينهم كثيرين يعارضونه فى قصائده، وخاصة نونيته التى تحدثنا عنها وعن إبداعه الموسيقى فيها.

وإذا كان النقاد فى عصره وبعد عصره لاحظوا معارضته للبحترى فى تلك القصيدة ومشابهة إيقاعه الصوتى لإيقاعه فإن أكبر شاعر موسيقى تلاه حتى عصرنا هو شوقى، وإيقاعه لا يبارَى فى جمال جرْسه وألحانه، وهداه حسّه الموسيقى منذ نشأته إلى روعة الإيقاع الصوتى عند البحترى وابن زيدون معًا، ولذلك نراه حين ينفى إلى أسبانيا فى الحرب العالمية الأولى من هذا القرن ويجوس بخياله فى الفردوس الأندلسى ينظم قصيدتين، بل آيتين من آياته، سينيّة يعارض فيها سينيّة البحترى التى عرضنا لها فى فواتح هذا الحديث، ونونيّة يعارض فيها نونيّة ابن زيدون آنفة الذكر، مؤمنا بأن قصيدة كل منهما يكتمل فيها إيقاعه الموسيقىّ الذى يغذّى الأرواح والأفئدة، ومحاولا بدوره أن يثبت جمال إيقاعه الموسيقىّ الخلاب. وهو اعتراف عظيم من شوقى بما يحمل الإيقاع